معهد تاريخ الكنيسة
إيبارشيَّة المعادي وتوابعها
الثُّلاثاء ٢٥ مايو سنة ٢٠٢١م

محاضرات مختصرة في تاريخ العقيدة المسيحيَّة (٢)

حول المجامع المسكونيَّة الثَّلاثة الأولى

مجمع نيقية المسكوني الأوَّل

عُقد بسبب بدعة أريوس (٢٥٦-٣٣٦م) وهو من مواليد ليبيا، وتعلَّم في مدرسة أنطاكية اللاهوتيَّة على يد مؤسِّسها لوسيان أو لوكيانوس. وكان هذا الأخير قد تتلمذ علي يد بولس السَّاموساطي أُسقُف أنطاكية الذي عُزل من منصبه حوالي سنة ٢٦٤م. وبعد عودة أريوس إلى الإسكندريَّة، رُسم شمَّاساً فيها على يد البابا بطرس خاتم الشُّهداء البطريرك (١٧). وبعد ظهور بوادر هرطقته، حذَّر البابا بطرس من يخلفه على الكرسي الإسكندري من رسامة أريوس كاهناً. ولكن أريوس استطاع بطلاوة حديثه وهيبة طلعته وتقواه المصطنعة، أن يحصل على رُتبة القسِّيسيَّة من البابا أرشيلاوس البطريرك (١٨). وبعد نياحة هذا الأخير، وإذ فشل خليفته البابا ألكسندروس البطريرك (١٩) في أن يُعيد أريوس إلى الإيمان الصَّحيح، عقد مجمعين مكانيَّين آخرهما كان سنة ٣١٨م، فحرمه وقطعه من الكنيسة مع مؤيِّديه، وكانوا أُسقُفَين من ليبيا، وخمسة كهنة، وستَّة شمامسة.

حضر أريوس مع مشايعيه في الجانب المعارض، وكان أقوى المؤيِّدين له، الأُسقُف يوسابيوس النِّيقوميدي[١]، صديق أريوس القديم منذ أيام التَّلمذة في مدرسة أنطاكية اللاَّهوتيَّة.

أمَّا خلاصة تجديف أريوس على الآب والابن، فيُمكن إيجازها في السُّطور القليلة التَّالية.

فعن الآب قال أريوس: إنه لم يكن الله أباً في كلِّ حين، بل كان هناك وقتٌ حين كان الله وحده، و لم يكن أباً بعد، بل صار أباً فيما بعد.

وعن الابن قال أريوس: إنه مخلوق من العدم، فلم يكن موجوداً قبل أن يُخلق. وأنَّ القُوى المخلوقة كثيرة، ومنها المسيح. وأنَّ حكمة الله لا تولد، وليس لها بداية وأنَّ الابن قابل للتَّغيير. وأنَّ الآب غير مدرَك وغير منظور للابن، بل أنَّ الابن لا يعرف حتى طبيعته هو. وأنه توجد ثلاث طبائع. وأنَّ المسيح من طبيعة أُخرى غير طبيعة الآب، فهو من نفس طبيعة الملائكة. وأنَّ الكلمة ليس إلهاً حقيقيًّا، وحتى إن كان يُدعى إلهاً، لكنَّه ليس إلهاً حقيقيًّا. وأنه واحدٌ ضمن المائة حروف.

"يقول أريوس: "عندما أراد الله أن يخلقنا، عندئذ قام بصنع كائن ما، وسمَّاه اللُّوغوس والحكمة والابن، كي يخلقنا بواسطته". ولذلك فهناك حكمتان: الأولى مستقلَّة وموجودة مع الله، أمَّا الابن فقد جاء من خلال هذه الحكمة الأولى، وأنَّ المسيح قد سُمِّي الحكمة والكلمة، بسبب اشتراكه فقط في هذه الحكمة الأولى"[٢].

أمَّا بخصوص أنَّ الابن واحدٌ مع الآب في الوحدانيَّة، وأنَّ من رأى الابن فقد رأى الآب، فذلك ليس بحسب الجوهر، وإنما هو مجرَّد توافق المبادئ والتَّعاليم ... إلخ.

١- كان أُسقُفاً لبيروت، ومناوئاً عنيداً للبابا أثناسيوس الرَّسولي، وهو من أخطر الشَّخصيَّات التي آذت الكنيسة. وبعلاقاته السِّياسيَّة بالقصر الإمبراطوري، نقل أُسقُفيَّته إلى نيقوميديا العاصمة القديمة للإمبراطوريَّة. وبعد بناء القُسطنطينيَّة، انتقل إليها وصار أُسقُفاً لها سنة ٣٣٦م. وهو الذي عمَّد الإمبراطور قسطنطين الكبير قبل وفاته.

٢- انظر: القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي، الشَّهادة لإلوهيَّة المسيح، المقالة الأولى ضدَّ الأريوسيِّين، مركز دراسات الآباء، ترجمة الأستاذ كامل عبد السيِّد، دُكتور نصحي عبد الشَّهيد، القاهرة، ديسمبر ١٩٨٤م، ص ١٧

وانتشرت هذه التَّعاليم الأريوسيَّة بين العامة من النَّاس، بعد أن دوَّنها أريوس كمقطوعات شعريَّة، ولحَّنها على نغمات الأغاني الشَّعبيَّة ليتغنَّى بها العامة في الأسواق، وأسماها θάλεια (ثاليا) أي ''وليمة''. فانتشرت تعاليمه المُضلَّة بين النَّاس، وتسرَّبت إلى وجدانهم في غيبة منهم.

كان همُّ الآباء الشَّاغل، هو التَّفتيش عن أمر واحد لا غير، وهو: 'ما الذي تسلَّموه من آبائهم'؟ مدركين كلَّ الإدراك، أنَّ وظيفتهم هي أن يكونوا شهوداً لا مفسِّرين. ولم يعترفوا إلاَّ بواجب واحد مُلقى على عاتقهم، وهو أن يُسلِّموا للمؤمنين ما تسلَّمته الكنيسة بأمر الرَّب.

وعلينا الآن أن نتكلم عن بعض المصطلحات اللاَّهوتيَّة التي سادت في هذا الوقت في الكنيسة المسيحيَّة:

- **لوغوس** – λόγος

كلمة ''لوغوس'' كانت معروفة في الآثار الوثنيَّة واليهوديَّة. وأوَّل استخدام لها كان في كتابات هيراقليطس Heraclitus الأفسسي حوالي سنة ٥٠٠ ق.م[٣]. وعند فيلو (١٣ق.م-٥٠ب.م) كان اللُّوغوس هو ''العقل الإلهي'' الذي يحكم العالم، وهو الوسيط بين الله والكون المادي[٤].

وهي كلمة واسعة المعنى في كتابات العهد الجديد، فهي تعني في الأساس: ''كلمة'' word كما تعني أيضاً: ''قول – خبر – حكاية''، وكلُّها مفردات تحمل ذات المعنى. كما تعني أيضاً: ''علَّة – سبب – دعوى – حق – أمر''، كما أنها تشير أيضاً إلى معنى: ''حساب – يحاسب – يحتسب''.

أمَّا أوَّل من استخدمها في العهد الجديد، فهو القدِّيس يوحنَّا اللاَّهوتي[٥]. ولكنَّه استخدم الكلمة بطريقة جديدة أبعد بكثير من فكر الأقدمين عنها. واستخدمها أيضاً القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧م)[٦]. أمَّا العلاَّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) فجعل من هذه الكلمة المحور الرَّئيسي في تعليمه[٧]، حتى جاء القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) فربط ربطاً محكماً وكاملاً بين هذا اللَّقب وبين تعليمه عن الفداء والخلاص.

و''اللُّوغوس'' أي ''الكلمة'' هو اللَّقب المقابل للقب ''الابن'' الأقنوم الثَّاني من الثَّالوث القدُّوس عند آباء ما قبل نيقية، ليشرحوا به علاقة الابن بالآب، كعلاقة تنأى عن أيِّ رباط مادي، أو في المقابل تحمي أي انفصال للابن عن كيان الآب.

وفي ذلك يقول العلاَّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م):

[كما تخرج الكلمة من العقل دون أن تمزِّقه، أو تُحسب الكلمة منفصلة أو منقسمة عن طبيعة العقل، هكذا وعلى هذا النَّمَط، ينبغي أن نُدرك علاقة الابن بالآب الذي هو صورته][٨].

فابن الله هو العقل الأزلي، والكلمة الأزلي، لأنَّ الله أزلي في إدراكه. واللُّوغوس كنُطق الله، صار هو وسيط الخلق من العدم، عندما قال الله: «ليكن»، فكان. وهو ما نقرأه عند أثيناغوراس مثلاً[٩].

والمسيح هو قوَّة الله وحكمة الله، وهما صفتان أزليَّتان في الله، لأنَّ الله لم يكُن قط بدون حكمة أو بدون قوَّة كما يذكر القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م)[١٠].

ولازال هذا الاصطلاح ''اللُّوغوس'' مستخدماً حتى اليَوم في تسبيح الكنيسة القبطيَّة، كما في ثيؤطوكيَّة الاثنين والثُّلاثاء،

٣- فيلسوف يوناني، قبل سقراط. ولا يُعرف عن حياته سوى أنه كان من الأُسرة المالكة في أفسس بآسيا الصُّغرى. وهو أوَّل من قال باللُّوغوس.

4- Philo, *Who is the heir of divine things?* 42 (205-206).

٥- يوحنَّا ١:١، ١٤ ؛ ١يوحنَّا ١:١ ؛ رؤيا ١٣:١٩

٦- انظر مثلاً: الرِّسالة إلى أفسس ٢:١٥

٧- كما في كتابه: المربِّي، وأيضاً في الرِّسالة إلى الوثنيِّين.

8- John Henry Cardinal Newman, *The Arians of the fourth century*, London, New York and Bombay, 1897, p. 170.

9- *Ibid*., p. 170.

10- *Ibid*., p. 170.

كمثل قولنا: ''كلمة (لوغوس) الله الحي الذي للآب، نزل ليعطي النَّاموس على جبل سيناء''. وأيضاً: ''يسوع المسيح الكلمة (لوغوس) الذي تجسَّد بغير تغيير وصار إنساناً كاملاً''.

• **هوموؤسيوس** – ὁμοούσιος

اصطلاح الـ ὁμοούσιος (هوموؤسيوس) يعني ''مساو في الجوهر لـ'' أو ''من ذات جوهر الـ''[١١]. وأوَّل من استخدم هذا الاصطلاح هو القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)[١٢]، ومن بعده العلاَّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، الذي يقول:

[إنَّ الابن مشترك مع الآب في الجوهر οὐσία (أوسيَّا)، لأنَّ ما ينبثق (أو يولد) من الجوهر، هو مساو له وواحد معه ὁμοούσιος (هوموؤسيوس) بكلِّ تأكيد][١٣].

وفي مجمع نيقية المسكوني الأوَّل، وبعد مداولات ومشاورات حادَّة لتحديد صيغة للإيمان، قُدِّم إلى المجمع قاعدة الإيمان التي كانت كنيسة أورشليم تلقِّنها للموعوظين وقت المعموديَّة، وهي: ''نؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكُل، خالق كلِّ شيء، ما يُرى وما لا يُرى. ونؤمن بربٍّ واحد يسوع المسيح كلمة الله، إله من إله، نور من نور، حياة من حياة، الابن الوحيد بكر كلِّ خليقة، مولود من الآب قبل كلِّ الدُّهور، الذي به خُلق كلُّ شيء، وتجسَّد لأجل خلاصنا''.

ورغم أنَّ قانون إيمان كنيسة أورشليم صحيحٌ من جهة إيمان الكنيسة الجامعة، لكنَّه لا يُعطي جواباً محدَّداً عن علاقة الابن بالآب، وهو المحور الرَّئيسي الذي بسببه انعقد هذا المجمع. فكان أن أضاف البابا أثناسيوس الرَّسولي اصطلاح الـ ὁμοούσιος (هوموؤسيوس) على قانون الإيمان، لكي يهدم به اصطلاح الأريوسيِّين وهو ὁμοιούσιος (هوميؤسيوس)، الذي يعني ''مشابه في الجوهر لـ''، وذلك في شرحهم لعلاقة الابن بالآب[١٤]. وهكذا فإنَّ تعبير الـ ὁμοούσιος (هوموؤسيوس) قد حاصر الأريوسيِّين وكشف خداعهم، إذ كانوا يؤمنون بعقيدة تدنِّي الابن عن الآب، وهو التَّعليم الذي تأصَّل في مدرسة أنطاكية اللاَّهوتيَّة، بقيادة رئيسها لوكيانوس الأنطاكي.

ولذلك كان دفاع البابا أثناسيوس يتركَّز في أنَّ الابن لا يمكن أن يكون مشابهاً للآب، لأنه غير مفترق عن طبيعة الآب. وهو وإن كان مساوياً للآب في الجوهر، فهو ''تساوي الوحدانيَّة''، لأنَّ الذي هو من جوهر الله الآب ومتساوٍ معه، يتحتَّم أن يكون واحداً معه في ذات الجوهر.

وهكذا استقرَّ اصطلاح الـ ὁμοούσιος (هوموؤسيوس) ضمن قانون الإيمان النِّيقاوي في كافة كنائس المسكونة بعد أنْ جاز تاريخاً طويلاً من الصِّدام والصِّراع والقبول والرَّفض بين الكنائس وبعضها البعض.

ولقد استخدم القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي هذا الاصطلاح أيضاً، للتَّعبير عن وحدة الرُّوح القُدُس مع الآب والابن[١٥].

• **هيبوستاسيس** – ὑπόστασις – Person

هذا المصطلح ينقسم إلى قسمَين: ὑπό (هيبو) أي ''تحت''، و στάσις (ستاسيس) أي ''قائم''. فالمصطلح يعني ما يعبِّر عن الوجود، أو ما يقوم عليه الشَّيء. والكلمة السِّريانيَّة ''أقنوم''، تفيد نفس معنى الكلمة اليونانيَّة ὑπόστασις (هيبوستاسيس).

والكلمة معروفة في التَّرجمة السَّبعينيَّة للعهد القديم بمعنى ''أساس'' أو ''أساس الرَّجاء''. واستخدمت هذه الكلمة ''هيبوستاسيس'' في العهد الجديد بمعنى ''الجوهر الحامل''[١٦]، فهي تعني الجوهر أو الأساس[١٧]. ولكن تُرجمت الكلمة في اللُّغة العربيَّة لكتاب العهد الجديد إلى كلمة ''ثقة'' وذلك في قول رسالة العبرانيِّين: «الإيمان هو **الثِّقة** بما يُرجى ...» (عبرانيِّين

١١- وحدانيَّة في الجوهر لكن مع تمايز كلٍّ من أقنومي الآب والابن، وإلاَّ ننزلق إلى ما يُسمَّى ''المونارخيَّة''، و''السَّابيليَّة''.
١٢- ضدَّ الهرطقات ١:٥:١

13- Origen., *De Princip.* I. 2. 12.

١٤- انظر مثلاً: ضدَّ الأريوسيِّين ١:٩
١٥- القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي، رسائل الرُّوح القُدُس، ١:٢٧
١٦- عبرانيِّين ١:٣
١٧- انظر: عبرانيِّين ٣:١٤ ؛ ٢كورنثوس ٩:٤ ؛ ٢كورنثوس ١١:١٧

١:١١). ولذلك يمكننا ترجمة هذا النَّص إلى: ''الإيمان هو **جوهر** ما يُرجى أو **أساس** ما يُرجى''.

كان آباء مجمع نيقية يهدفون إلى إثبات أنَّ الابن مع الآب هُما واحد، وأنَّ هذا الجوهر هو كيان أساسي واحد، فأضافوا بعد قانون الإيمان – بسبب المحرومين – نصًّا قالوا فيه بأنَّ الابن ''ليس من هيبوستاسيس آخر'' أي ''**ليس من جوهر آخر**''[١٨].

لقد وُضعت حرومات مجمع نيقية على أساس أنَّ مصطلح الـ ''هيبوستاسيس'' يفيد معنى ''الأوسيَّا'' (أي الجوهر)، كمترادفَين، يحلُّ أيهما محلَّ الآخر[١٩]، لأنَّ التَّفريق بين الهيبوستاسيس والأوسيَّا لم يكن قد اكتمل بعد عند لاهوتيّي كنائس آسيا الصُّغرى وروما. ونفس هذا الأمر استخدمه القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي[٢٠] في شرحه للكتاب المقدَّس، عندما كان يوجِّه خطاباته وشروحاته للغرب وللأريوسيِّين ليقطع على الأريوسيِّين تقسيم الجوهر إلى جوهر أوَّلي غير مخلوق للآب، وآخر مخلوق للابن، فأفسدوا بذلك مفهوم الهيبوستاسيس، كونه تعبيراً عن تمايز في صفات الجوهر الواحد. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، لكي يستميل البابا أثناسيوس جماعة النِّصف أريوسيِّين، وكلٌّ من أُعثر في مصطلح ''الهوموؤسيوس''.

ولقد دخل هذا الاصطلاح في اللاَّهوت الكنسي بعد اصطلاح الـ οὐσία (أوسيَّا).

- **أوسياً** – οὐσία

الأوسيَّا οὐσία تعني الجوهر أو الكيان being أو الوجود الحقيقي البسيط غير المحدود، وهي في الإنجليزيَّة essence من الأصل اللاَّتيني essentia وفي اللاَّتينيَّة substantia. فعن ''الأوسيَّا'' يقول القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي:

[إنَّ الله هو ذو جوهر οὐσία غير مُدرَك، وفوق كلِّ إدراك][٢١].

وكانت ''الأوسيَّا'' تُعتبر لدي لاهوتيي كنيسة الإسكندريَّة مساوية تماماً لكلمة ''φύσις (فيسيس أي طبيعة)''.

- **طبيعة** – Substance – Φύσις

هناك كلمتان في كتاب العهد الجديد، تُترجمان إلى ''طبيعة'':

الكلمة الأولى هي ψυχικός (إبسيخيكوس)، وتُرجمت إلى ''نفساني – حيواني – طبيعي''. فهي تشير إلى الإنسان النَّفساني أو الطَّبيعي[٢٢]، وإلى الجسم الحيواني[٢٣].

الكلمة الثَّانية هي φύσις (فيزيس). وتُرجمت إلى ''طبيعة – طبع''[٢٤]. واشتُقَّ منها كلمة φυσικός (فيزيكوس) أي ''طبيعي''[٢٥]، وأيضاً كلمة φυσικῶς (فيزيكوس) أي ''بالطَّبيعة''[٢٦]. وهذه الكلمة الثَّانية هي اصطلاح لاهوتي كنسي، استخدمه آباء الكنيسة في محاولة شرح لاهوت الابن، الأقنوم الثَّاني من الثَّالوث القدُّوس.

فالمصطلح اليوناني φύσις (فيزيس) أي طبيعة، يقابله في اللاَّتينيَّة كلمتين:

الكلمة الأولى هي كلمة Substantia وأصل الكلمة هو subsito أي ''العامل الأساسي الذي يقوم عليه الشَّيء''. فكلُّ كائن له ''طبيعة – substantia''، هو كائنٌ بالفعل، ذو شكل معيَّن، وصفات معلومة، وخواص محدَّدة.

١٨– القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي، الشَّهادة لإلوهيَّة المسيح، المقالة الأولى ضدَّ الأريوسيِّين، مرجع سابق، ص ١٢٧

١٩– إنه من المهم لنا أن نعرف أنه طبقاً للفلسفة اليونانيَّة، فإنَّ اصطلاح الـ ''هيبوستاسيس'' يتبادل مع اصطلاح الـ ''أوسيَّا'' نفس المعنى، ويحل كلٌّ منها محلَّ الآخر. وكان العلاَّمة أوريجانوس (١٨٥–٢٥٤م) هو أوَّل من ميَّز بين الهيبوستاسيس (الأقنوم) والأوسيَّا (الجوهر)، في شرحه لإنجيل القدِّيس يوحنَّا (٦:٢).

٢٠– ويشاركه في ذلك القدِّيس جيروم (٣٤٢–٤٢٠م).

21- Athanas., *Contra gent.*, 2.

٢٢– ١كورنثوس ١٤:٢ ؛ يهوذا ١٩

٢٣– ١كورنثوس ٤٤:١٥

٢٤– رومية ٢٦:١، ١٤:٢، ٢٧ ، ٢١:١١ ، ٢٤ ؛ ١كورنثوس ١٤:١١ ؛ غلاطية ١٥:٢، ٨:٤ ؛ أفسس ٣:٢ ؛ يعقوب ٧:٣ ؛ ٢بطرس ٤:١

٢٥– رومية ٢٦:١ ، ٢٧ ؛ ٢بطرس ١٢:٢

٢٦– يهوذا ١٠

والكلمة الثَّانية هي كلمة natura وتعني ''طبيعة'' أيضاً ولكنَّها كلمة لا تفيد أكثر من مجموعة صفات نظريَّة، لا تتطـــرَّق إلى جوهر الشَّيء أو كيانه. ولذلك فإنَّ كلمة Substantia التي تفيد معنى ''الكيان المدرَك'' تختلف اختلافاً بيناً عن كلمة natura .

ولقد ترجم القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) أُسقُف ليون بفرنسا كلاً من كلمتي οὐσία (أوســيَّا) أي ''جـــوهر''، و ὑπόστασις (هيبوستاسيس) أي ''أقنوم'' إلى كلمة substantia أي ''طبيعة''. وسرى هذا الخلط في الفكر اللاَّتيني عامة بعد ذلك. ومن هنا نشأ الاختلاف في التَّعبيرات اللاَّهوتيَّة بين الغرب والشَّرق. ولاسيَّما وأنَّ اللُّغة اللاَّتينيَّة لا تُسعف في التَّعبير عن المصطلحات اليونانيَّة اللاَّهوتيَّة التي استخدمها الشَّرق.

ففي اللاَّهوت الشَّرقي، فإنَّ مصطلح φύσις (فيزيس) أي ''طبيعة'' يساوي في مفهومه تماماً مصطلح οὐσία (أوســيَّا) أي ''جوهر''. أمَّا في اللاَّهوت الغربي ولاسيَّما عند العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م)، فإنَّ مصطلح substantia أي ''طبيعة'' لا يساوي في معناه تماماً مصطلح οὐσία (أوسيَّا) أي ''جوهر''.

ومن جهة أُخرى عندما يتحدَّث الغرب عن طبيعتَين في شخص السيِّد المسيح، فهو يستخدم كلمة natura وليس كلمـــة substantia أمَّا اللاَّهوت الإسكندري بحسب القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) فيقول بأنَّ:

[الكلمة المتجسِّد، هو طبيعة φύσις واحدة][٢٧].

وهي نفس العبارة التي يذكرها القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[طبيعة φύσις واحدة متجسِّدة لكلمة الله][٢٨].

ويشرح القدِّيس كيرلُّس الكبير ذلك الأمر بقوله:

[قد اجتمعت واتحدت معاً في شخصه الواحد، الطَّبيعتان الإلهيَّة والبشريَّة، بطريقة لا توصـــف ولا تُفحـــص، لتكوِّنا معاً وحدةً بطريقة لا يمكن تصوُّرها ...][٢٩].

ولقد وضع مجمع نيقية المسكوني الأوَّل عشرين قانوناً بالإضافة إلى قانون الإيمان Creed وهو صيغة مختصرة لأهم بنـــود العقيدة المسيحيَّة. ويُسمَّى في الشَّرق Nicene Creed . أمَّا الغرب المسيحي فيستخدم ''قـــانون الرُّسُـــل'' Apostles Creed أو ''قانون الإيمان الرَّسولي''. وهذا العنوان قد وُجد هكذا منذ سنة ٣٩٠م وبالتَّحديد عند القدِّيس أمبروســيوس (٣٣٩-٣٩٧م) أُسقُف ميلان[٣٠]، وهو يعتبر من أقدم قوانين الإيمان. وهو يُنسب إلى الرُّسُل الاثني عشر منذ هذه العصور المبكِّرة، حتى وإن كان ليس من تدوين الرُّسُل أنفسهم. وهذا القانون هو صيغة مختصرة لقانون إيمان نيقية الذي يعرفه الشَّرق المسيحي، ويختلف عنه في بعض إضافات مثل النُّزول إلى الجحيم، وشركة القدِّيسين. و''قانون إيمان الرُّسُل'' أو ''قانون الإيمان الرَّسولي'' لـــه صورتان مختلفتان؛ واحدة مختصرة، وأُخرى مطوَّلة.

مجمع القُسطنطينيَّة المسكوني الثَّاني

التأم هذا المجمع في سنة ٣٨١م في مدينة القسطنطينيَّة[٣١] في عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير[٣٢] (٣٧٩-٣٩٥م)، ورأسه في البداية ملاتيوس أُسقُف أنطاكية، وبعد نياحته أثناء جلسات المجمع، خلفه القدِّيس غريغوريوس اللاَّهوتي (النَّزينزي) (٣٢٩-٣٨٩م). وقد حضره البابا تيموثاوس (٣٧٨-٣٨٤م) البطريرك الـ (٢٢) من بطاركة كنيسة الإسكندريَّة. وشارك فيه ١٥٠ أُسقُفاً كلُّهم

27- Athanasius, *De Incarnatione contra Apollinarium*, II, 13.

٢٨- الرِّسالة الأولى إلى سوكينسوس أُسقُف ديوقيصريَّة.

٢٩- الحوار الأوَّل في الثَّالوث الأقدس (*PG.*, 75, 692-693).

30- *Ep.*, xlii. 5.

٣١- هي بيزنطيَّة أو بيزنطة القديمة، أعاد الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٣-٣٣٧م) بناءها في سنة ٣٢٤م، فصارت مقرَّ الإمبراطور، وهـــي مركز الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة السِّياسي والدِّيني والثَّقافي. وقد سقطت أمام العثمانيِّين، حيث دخلها محمد الفاتح سنة ١٤٥٣م، فأصبحت عاصـــمة العثمانيِّين، ودُعيت ''استانبول''.

٣٢- كان الإمبراطور ثيؤدوسيوس إمبراطوراً للشَّرق، أمَّا في الغرب فكان الإمبراطور غراتيان، و لم تكن له أيَّة علاقة بهذا المجمع.

من الشَّرق، وكان من بينهم القدِّيس غريغوريوس النِّيسي (٣٣٠-٣٩٥م)، والقدِّيس كيرلُّس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م). ولم يحضر أحد من أساقفة الغرب حتى أنَّ داماسوس أُسقُف روما لم يحضر ولم يُرسل نوَّاباً من قبَله. ومع ذلك، فقد وافقت الكنيسة الغربيَّة على قانونيَّة هذا المجمع.

أمَّا الغاية الأساسيَّة لدعوته واجتماعه، فهي دحض بدعة مقدونيوس Macedonius (+٣٦٢م) بطريرك القُسطنطينيَّة الذي ادَّعى أنَّ الرُّوح القُدُس مخلوق بواسطة الابن. وقد أكمل هذا المجمع قانون الإيمان النِّيقاوي، وهي الكلمات أو العبارات الواردة بالبُنط الثَّقيل في الفقرة التَّالية، فصار هذا القانون يُعرف باسم ''قانون الإيمان النِّيقاوي القسطنطيني'':

''نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكُل، خالق **السَّماء والأرض**، كلِّ ما يُرى وما لا يُرى. وبربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله **الوحيد**، المولود من الآب **قبل كلِّ الدُّهور**، نورٌ من نور، إلهٌ حق من إله حق، مولودٌ غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كلُّ شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل **من السَّماء** وتجسَّد **من الرُّوح القُدُس ومن مريم العذراء**، وتأنَّس **وصُلب عنَّا على عهد بيلاطس البنطي**، وتألَّم **وقُبر** وقام في اليَوم الثَّالث كما في الكُتُب، وصعد إلى السَّماء، **وجلس عن يمين الآب**، وسيأتي **بمجد**، ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لمُلكه انقضاء[٣٣]. وبالرُّوح القُدُس **الرَّب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجودٌ له وممجَّد، النَّاطق في الأنبياء. وبكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسوليَّة. ونعترف بمعموديَّة واحدة لمغفرة الخطايا. وننتظر قيامة الأموات وحياة الدَّهر الآتي**''[٣٤].

البدع التي دحضها المجمع

حرم هذا المجمع بالإجمال كلَّ بدعة ظهرت إلى الوجود في عهد الأباطرة الذين سبقوا التآمه، وهُم قسطنطينوس[٣٥] (٣٣٧-٣٦١م) ويوليانوس (٣٦١-٣٦٣م) وفالنس (٣٦٤-٣٧٨م). وفيما يلي بيان موجز بهذه البدع[٣٦]:

(١) الإفدوكسيُّون

نسبة إلى إفدوكسيوس Eudoxius (٣٠٠-٣٧٠م) أُسقُف القُسطنطينيَّة[٣٧] في عهد الإمبراطور فالنس (٣٦٤- ٣٧٨م). وهي فئة لم تكن أريوسيَّة بكلِّ معنى الكلمة، إذ ادَّعت أنها تمثِّل الأريوسيَّة الأصيلة القديمة. وتمسَّك إفدوكسيوس Eudoxius بالعبارة المبهمة التي اخترعها أكاكيوس Acacius (+٣٦٦م) أُسقُف قيصريَّة، وهو لاهوتي أريوسي، وتلميذ ليوسابيوس Eusebius القيصري (٢٦٠-٣٤٠م)، وخليفته على كرسي قيصريَّة فلسطين[٣٨]. وهذه العبارة هي: ''أنَّ الابن شبيه بالآب'' وكانت النَّتيجة العمليَّة، إعداد الطَّريق لأصحاب البدعة الإفنوميَّة.

(٢) الإفنوميُّون

نسبة إلى زعميهم إفنوميوس Eunomius (+٣٩٤م) الذي كان كاتم سرِّ مؤسِّس هذه البدعة، الذي يُدعى إيتيوس Aetius . وإيتيوس هذا كان أوفر المغامرين اللاَّهوتيِّين إنتاجاً[٣٩]، أمَّا إفنوميوس فكان مشهوراً بجرأته وقُدرته على العمل المتواصل، وكان كثير التَّقلُّب. أُقيم أُسقُفاً على كيزيكوس Cyzicus بواسطة إفدوكسيوس Eudoxius (٣٠٠-٣٧٠م) أُسقُف القسطنطينيَّة، وسُرعان ما

٣٣- إنَّ عبارة ''ليس لمُلكه انقضاء'' قد أُضيفت على قانون الإيمان النِّيقاوي قبل انعقاد مجمع القُسطنطينيَّة المسكوني الثَّاني بسنوات عديدة، دحضاً لبدعة مركيللوس Marcellos أُسقُف أنقره (+٣٧٤م).

انظر: حنانيا كسَّاب، مجموعة الشَّرع الكنسي، منشورات النُّور، لبنان ١٩٧٩م، ص ٢٤٦ هامش ١

Cf. also, *ODCC*, 2nd edition, p. 869.

34- Philip Schaff, *The History of the Christian Church*, Vol. 2. ; *Nicene and Post Nicene Fathers*, Vol. XIV, p. 3.

٣٥- يُسمَّى أيضاً: قنسطنطيوس، وقُسطنديوس. وهو أحد أولاد الإمبراطور قسطنطين الكبير.

٣٦- حنانيا كسَّاب، مجموعة الشَّرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٢٥٨ وما بعدها بتصرُّف.

٣٧- شارك في كثير من المجامع الأريوسيَّة في القرن الرَّابع الميلادي. ورُسم أُسقُفاً على أنطاكية سنة ٣٥٨م ثمَّ صار أُسقُفاً للقسطنطينيَّة سنة ٣٦٠م. ولم يتبق من كتاباته سوى شذرات بسيطة من مقالة له عن التَّجسُّد.

ODCC, 2nd edition, p. 479, 480.

38- Cf. *ODCC*, 2nd edition, p. 8.

٣٩- أثناسيوس في المجامع (٣١)، وسقراط في تاريخ الكنيسة (٢:٤٥).

اتَّحد مع إيتيوس Aetius وانفصلا علناً عن أُسقُف القُسطنطينيَّة، ووصماه بأنه رَجُل متلوِّن، مخادع، وانتهازي.

وكان أتباع إفنوميوس Eunomius يقولون: إنَّ الابن يمكن أن يُدعى الله، ولكن بالاسم لا غير، ليبقى بينه وبين الله الرأس غير المخلوق، هوَّة لا يمكن اجتيازها. فحتى عبارة الأريوسيِّين عن الابن بأنه ''شبيه في الجوهر'' كانوا يعتبرونها تحفُّظاً غير شريف، فكانوا إذاً أسوأ من الأريوسيِّين في اعتقادهم.

وكان إفنوميوس Eunomius يُعيد معموديَّة الذين ينضمُّون إلى مذهبه، مغطِّساً إياهم غطسة واحدة، ومنكِّساً رؤوسهم إلى أسفل وأرجلهم إلى فوق، وهو يقول: ''يُعمَّد فلان باسم الآب غير المخلوق، والابن المخلوق، والرُّوح القُدُس المخلوق من الابن المخلوق''. وكان يُنكر العذاب الأخير، وجهنَّم.

(٣) النِّصف أريوسيِّين

ويُسمَّون أيضاً ''محاربي الرُّوح''. وكان زعيمهم هو باسيليوس أُسقُف أنقرة Basil of Ancyra[٤٠]. وكان حزب النِّصف أريوسيِّين هُم أصل بدعة مقدونيوس Macedonius (+٣٦٢م) أُسقُف القُسطنطينيَّة، الذي اغتصب كُرسي القسطنطينيَّة بقوَّة الملك قسطنديوس[٤١] (٣٣٧-٣٦١م) بعد إنزال أُسقُفها القانوني بولس. ثمَّ خُلع من هذه الأُسقُفيَّة في سنة ٣٦٠م بواسطة الإفنوميِّين. وقد علَّم أنَّ ''الابن مشابه للآب في كلِّ شيء، ولكنَّه لا يساويه في الجوهر. وأنَّ الرُّوح القُدُس مخلوق وخادم للابن، كأحد الملائكة''. وقد سُمِّي مشايعوه ''المقدونيِّين''. وكانوا قد تدرَّجوا في إيمانهم إلى إعلان عظمة الابن غير المخلوقة، إلاَّ أنهم ظلُّوا يرفضون عبارة مجمع نيقية بأنَّ الابن ''مساو للآب في الجوهر''. وقال عنهم القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) وهو في منفاه الثَّاني:

[سمعتُ والألم يحزُّ في نفسي، أنَّ بعض الذين هجروا الأريوسيِّين اشمئزازاً منهم لتجديفهم على الله، يدعون بعد ذلك الرُّوح مخلوقاً ويقولون: إنه أحد الأرواح الخادمة، ولا يختلف عن الملائكة إلاَّ بالرُّتبة][٤٢].

وهو ما دفع مجمع القُسطنطينيَّة إلى تثبيت تكملة قانون الإيمان النِّيقاوي بعد عبارة ''نؤمن بالرُّوح القدس''، بقوله: ''الرَّب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجودٌ له وممجَّد''، وكانت هذه الإضافة جزءاً من دساتير الإيمان المحليَّة في الكنائس المختلفة في الشَّرق.

(٤) السَّابيليُّون

نسبة إلى سابيليوس Sabellius[٤٣] الذي اعتقد أنَّ الأقانيم الثَّلاثة هُم أقنوم واحد مثلَّث الأسماء، ظهر تارة كآب، وتارة كابن، وأُخرى كروح قُدُس، بتغيُّر الصُّورة والشَّكل. وترجع بدعة السَّابيليِّين إلى تعاليم نوفاتوس الذي هو نوفاتيان[٤٤] Novatian ومعه أيضاً براكسياس Praxeas في أواخر القرن الثَّاني الميلادي[٤٥]. فيقول السَّابيليُّون: إنَّ الابن والرُّوح القُدُس إنما

40- Cf. *ODCC*, 2nd edition, p. 141.

٤١- وهو يُسمَّى أيضاً ''قسطنطينوس''. والذي حكم الجزء الشَّرقي من الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة.

٤٢- الرِّسالة الأولى إلى القدِّيس سرابيون عن الرُّوح القُدُس.

٤٣- يُعرَف عنه القليل جدًّا. ويُظن أنَّه لاهوتي من بواكير القرن الثَّالث الميلادي، ومن أصل روماني. ورد ذكره في بعض كتابات الآباء اليونان في أواخر القرن الرَّابع أو الخامس الميلادي، حيث ينسبونه إلى ليبيا أو الخمس مُدُن الغربيَّة Pentapolis .

Cf. *ODCC*, 2nd edition, p. 1218.

٤٤- نوفاتوس أو نوفاتيان، هو قس من كنيسة روما، له مؤلَّف عن الثَّالوث. أمَّا تفاصيل حياته، فهي مجهولة. وحُكم عليه بالموت في عهد فاليريان سنة ٢٥٧م. ولم تقبل الكنيسة تعاليمه، كما رفضها البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م).

Cf. *ODCC*, 2nd edition, p. 984.

ويقول عنه يوسابيوس القيصري: نحن بحق نشعر بالكراهية نحو نوفاتوس الذي قسَّم الكنيسة، ودفع ببعض الإخوة إلى الكُفر والتَّجديف، وأدخل تعاليم كُفريَّة عن الله وأُخرى عن ربِّنا يسوع المسيح الكُلي الرأفة، مدَّعياً بأنه غير رحيم. وعلاوة على كلِّ هذا، فإنه يرفض المعموديَّة المقدَّسة، ويقلب الإيمان والاعتراف اللَّذين يسبقانها، ويمنع عنهم كُليَّة الرُّوح القُدُس، إن كان هناك أيُّ رجاء أن يبقى معهم أو يعود إليهم.

انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص ٣٥١

٤٥- براكسياس هو هرطوقي، وصلتنا معلومات عن تاريخه وتعليمه من مقالة باليونانيَّة بعنوان ''ضدَّ براكسيان'' Adversus Praxian كُتبت

هما من الظُّهورات والأشكال أو الانبثاقات من شخص الآب الواحد. وقد أرسل البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م) البطريرك الإسكندري رسالة إلى زيستوس الثَّاني Sixtus II (٢٥٧-٢٥٨م) أُسقُف روما، يصف فيها هرطقة سابيليوس، بأنها مملوءة كُفراً وتجديفاً على الله الآب، وشكوكاً كثيرة بخصوص ابنه الوحيد بكرُ كلِّ خليقة، الكلمة المتأنِّس، وقصوراً شديداً في معرفة الرُّوح القُدُس، فيقول:

[قد كتبتُ بضع رسائل لمعالجة الموضوع، وضعتُ فيها بمساعدة الله، كثيراً من التَّعاليم على قدر استطاعتي، وها أنا أرسلُ إليك نُسخاً منها][٤٦].

(٥) المرسليُّون

نسبة إلى مَرسلُّوس Marcellus (+٣٧٤م) أُسقُف أنقرة Ancyra في غلاطية. وكان اعتقاده قريباً من تعليم سابيليوس، ومناقضاً للإيمان الحقيقي بلاهوت الابن، وبالتَّجسُّد. ويُنسب إليه الرأي، بأنَّ الكلمة كان قوَّة إلهيَّة غير شخصيَّة، كامنة في الآب منذ الأزل، ولكنَّها صادرة منه في عمل الخليقة، ودخلت أخيراً في علاقات مع شخص يسوع الإنساني، فصار بذلك ابن الله. على أنَّ هذا الامتداد من الوحدة الإلهيَّة، يتبعه انكماش، عندما ينسحب الكلمة من يسوع، ويكون الله ثانيةً الكُل في الكُل!

(٦) الفوتينيُّون

هُم أتباع فوتينوس Photinus الذي صار أُسقُفاً على سيرميوم Sirmium سنة ٣٤٤م[٤٧] وهو تلميذ مَرسلُّوس Marcellus (+٣٧٤م) أُسقُف أنقرة. وكان فوتينوس Photinus هذا متصلِّباً في رأيه، عنيداً، حاضر الذِّهن. وقد صدرت ضدَّه أحكام أربعة مجامع متتابعة قبل أن تضع السُّلطة المدنيَّة حدًّا لمشاغباته في سنة ٣٥١م. وقال في تعليمه عن شخص السيِّد المسيح له المجد ''إنَّ يسوع الذي استقرَّ فيه الكلمة استقراراً تاماً ممتازاً، كان إنساناً مجرَّداً بسيطاً''. وهو رأيٌّ يشبه رأي بولس السَّاموساطي. ولم يكن يعترف بالثَّالوث القدُّوس، وكان يُسمِّي الله روحاً خالق الكُل، ويرى أنَّ الكلمة ما هو إلاَّ كلمة لفظيَّة، وأمرٌ إلهيٌّ خادمٌ لله في إبداع الكون كأنَّه آلة صناعيَّة، وأنَّ المسيح إنسانٌ مجرَّد، اقتبل كلمة الله ولكنَّه لم يقتبل الجوهر، بل اللَّفظ فقط، وأنَّ بدء وجوده كان في مريم''[٤٨].

(٧) الأبوليناريُّون

هُم أتباع أبوليناريوس Apollinarius (٣١٠-٣٩٠م) أُسقُف اللاَّذقيَّة في سوريا. ويقول عنه البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[إنه اعتاد أن يقول: إنَّ الكلمة أخذ جسداً بدون نفس. وإذ يشعر أحياناً بخجل لجهله، يعود فيقول: إنَّ الجسد الذي اتَّخذه، كانت فيه نفس غير عاقلة، جارياً على رأي أفلاطون في التَّفريق بين النَّفْس والعقل].

وفي تفسيره الخاطئ للآيتَين (١تسالونيكي ٥:٢٣، غلاطية ٥:١٧) نسب للمسيح جسداً بشريًّا ونفساً بشريَّة، ونفى أن يكون له روح عاقلة، وجعل الكلمة يحلُّ محلَّ الرُّوح في شخص المسيح، فجعل المسيح كائناً متوسِّطاً بين الله والإنسان، قائلاً: إنَّ المسيح مزيجٌ من الله والإنسان. واندفع إلى القول: إنه لا يجوز أن نعبُد كائناً بشريًّا متوشِّحاً بالله، أو نسجد له. فتصدَّى له القدِّيس غريغوريوس اللاَّهوتي (٣٢٩-٣٨٩) قائلاً:

[يجب أن نسجُد لإله متوشِّح بالنَّاسوت، وليس لجسد متوشِّح باللاَّهوت].

حوالي سنة ٢١٣م. وقد أشار العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م) إلى تعاليمه الخاطئة.

Cf. *ODCC*, 2nd edition, p. 1115.

٤٦- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦:٧)، ص ٣٤٩

٤٧- سيرميوم Sirmium هي مدينة قديمة تأسَّست في القرن الرَّابع قبل الميلاد، في إحدى المقاطعات الرُّومانيَّة وتقع شمال صربيا الحاليَّة. وظلَّ فوتينوس أُسقُفاً على سيرميوم حتى سنة ٣٥١م حين أُقصي عن منصبه، لتعاليمه الخاطئة، وبقرار من مجمع عُقد في سيرميوم بأمر الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius (ويُسمى أيضاً: قسطنطينوس وقسطنديوس) (٣٣٧-٣٦١م). ولم يصلنا شيء من كتاباته. أمَّا تعليمه فعرفناه ممَّا كتبه عنه مناوئوه.

Cf. *ODCC*, 2nd edition, p. 1087.

٤٨- تاريخ الكنيسة لسوزومين (٦:٤).

بدعة تدني الأقانيم: Le subordinatianisme

وهو تعليم عن الثَّالوث، فيه الابن أدنى من الآب، والرُّوح القُدُس أدنى من كليهما. وهي خاصيَّة برزت في بعض من التَّعاليم المسيحيَّة في القرون الثَّلاثة الأولى، ونُسبت إلى العلاَّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) في رأي البعض[٤٩]. وصار من أكثر التَّعاليم استغلالاً في الصِّراع مع الشِّيع الأريوسيَّة. واعتُبر الذين ينادون بهرطقة تدني الأقانيم نصف أريوسيِّين، ولكن بعد أن استقر التَّعليم الأرثوذكسي في القرن الرَّابع الميلادي، وتحدَّدت مصطلحاته، أُدينت هذه التَّعاليم كواحدة من الهرطقات[٥٠]، وذلك في مجمع القُسطنطينيَّة المسكوني الثَّاني سنة ٣٨١م.

هذه هي أهم البدع التي تعرَّض لها مجمع القُسطنطينيَّة المسكوني الثَّاني.

تداعيات مجمعي نيقية والقُسطنطينيَّة في تقسيم الكنيسة إلى شرقيَّة وغربيَّة

طبقاً للقانون السَّادس لمجمع نيقية المسكوني الذي عُقد سنة ٣٢٥م، توزَّعت الكنيسة الجامعة على ثلاث أُسقُفيَّات هي الإسكندريَّة وروما وأنطاكية. لأنَّه حتى ذلك التَّاريخ، لم تكن كنيسة القُسطنطينيَّة قد عُرفت بعد، لأنَّ الإمبراطور قُسطنطين الكبير (٣٢٣-٣٣٧م) بدأ في تشييد المدينة سنة ٣٢٤م. ولمَّا أقيم أُسقف لمدينة القُسطنطينيَّة، كان يتبع أو يخضع لإيبارشيَّة هيراقليَّا Heraclea (وهي مدينة في مقاطعة قونية Konya أكبر مقاطعة في تركيا). أمَّا المدينة المقدَّسة أورشليم، فكانت تتبع كنسيًّا، قيصريَّة فلسطين في ذلك الوقت، وكانت هذه بدورها مرتبطة كنسيًّا ببطريركيَّة أنطاكية.

وبعد ما يزيد قليلاً عن نصف قرن، حيث كانت مدينة القُسطنطينيَّة قد صارت عاصمة الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة الشَّرقيَّة، ولُقِّبت بروما الجديدة – تمييزاً لها عن روما القديمة عاصمة الإمبراطورية الغربيَّة – تقنَّن هذا التَّقسيم السِّياسي على المستوى الدِّيني[٥١]! فطبقاً للقانون الثَّالث من قوانين مجمع القُسطنطينيَّة المسكوني سنة ٣٨١م أصبح العالم المسيحي ينقسم إلى:

- العالم المسيحي الغربي، وعاصمته روما.
- العالم المسيحي الشَّرقي، وعاصمته القُسطنطينيَّة.

فصار العالم المسيحي ينقسم إلى أربع أُسقُفيَّات هي: روما، القُسطنطينيَّة، الإسكندريَّة، وأنطاكية. وعلى الرَّغم من أنَّ هذا القانون الثَّالث قد رفضه أساقفة الكراسي الشَّرقيَّة، ورفضه كرسي روما أيضاً، لأنَّ أسبابه كانت سياسيَّة بحتة، ولا علاقة لها بالأمور الدِّينيَّة من قريب أو بعيد، إلاَّ أنَّه تثبَّت في قوانين المجامع التَّالية.

مجمع أفسس المسكوني الثَّالث

عُقد هذا المجمع سنة ٤٣١م في مدينة أفسس في عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس Theodosius الثَّاني (الصَّغير) (٤٠٨-٤٥٠م) للنَّظر في بدعة نسطور Nestorius بطريرك القُسطنطينيَّة، الذي قسَّم المسيح إلى أُقنومَين أو شخصَين منفصلَين. الأوَّل إلهي، دعاه ابن الله، والآخر إنساني، دعاه ابن العذراء. وذلك بخلاف التَّعليم الآبائي الذي يرى في المسيح المتجسِّد، شخصاً واحداً، وهو الإله المتجسِّد[٥٢].

لقد كان نسطور أُسقُف القُسطنطينيَّة (٤٢٨-٤٣١م) يؤمن بأنَّ العذراء القدِّيسة قد ولدت الإنسان يسوع المسيح، وأنَّ الذي وُلد منها ليس هو نفسه الله الكلمة. ولذلك لا تُدعى العذراء "والدة الإله". وكان نسطور يتمتَّع بنفوذ عظيم، وتمكَّن

٤٩- يرفض الأب جورج خوام البولسي هذا الرأي الذي نتج عن إساءة فهم لما يقوله العلاَّمة أوريجانوس، معتمداً في ذلك على ما ذكره البابا البابا أثناسيوس الرَّسولي.

انظر: أوريجانوس، في المبادئ، عرَّبه وقدَّم له وعلَّق عليه ونقَّحه، الأب جورج خوام البولسي، منشورات المكتبة البولسيَّة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٢٦

50- Cf. *ODCC*., 2nd edition, p. 1319.

٥١- ولِما لا، وقد صار الإمبراطور المسيحي هو نائب الإله على الأرض؟ فدسَّ أنفَه في شؤون الكنيسة، ونصَّب نفسَه حامياً لها، حتى لو كان ذلك باستخدام السَّيف!

52- Cf. *ODCC*., 2nd edition, p. 961.

من أن يخدع النَّاس بمظاهر التَّقوى، فقد كان لقبه ''الأُسقُف الحسن العبادة''. كما استطاع أن يربح إلى جانبه عدداً وافراً من الأساقفة، من بينهم يوحنَّا بطريرك أنطاكية، وعدداً كبيراً من أساقفته. وكانت له حُظوة كبيرة عند الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصَّغير، وعظماء مملكته. ولذلك كان في وسعه أن يُثير عاصفة من الاضطراب، حتى تبيَّن أنَّ الحاجة تدعو إلى عقد مجمع مسكوني، لأنَّ القضيَّة العقيديَّة خطيرة، والشَّخص يتمتَّع بمنزلة رفيعة.

ورأس جلسات المجمع، البابا الإسكندري القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) عامود الدِّين، وكان بطرس كاهن الإسكندريَّة رئيس كُتَّاب المجمع. وحضره ٢٠٠ أُسقُف. وكان الحبر الرُّوماني كلستين Celestine (٤٢٢-٤٣٢م) قد أوفد أُسقُفَين وقسًّا لحضور جلسات المجمع. ولَّما التأم المجمع ودُعي نسطور للحضور ثلاث مرَّات ليجاوب عن نفسه أمام المجمع، رفض الحضور. وأصدر هذا المجمع سبعة قوانين، بالإضافة إلى قانون ثامن خاص باستقلال جزيرة قُبرص من الوجهة الكنسيَّة.

وفي هذا المجمع اعتُبرت حرومات القدِّيس كيرلُّس الكبير الاثنا عشر التي أرسلها إلى نسطور، والتي قُرئت في المجمع، أنها جزءٌ من الإيمان الذي أعلنه مجمع أفسس.

انشقاق الكنيسة الآشوريَّة (النَّسطورية) عن الكنيسة الجامعة

لقد جاء الوقت الذي حدث فيه الانشقاق بين الكنيسة السِّريانيَّة الشَّرقيَّة (المسيحيَّة الآشوريَّة)[٥٣] وبين الكنيسة السِّريانيَّة الغربيَّة (المسيحيَّة الأنطاكية) وذلك سنة ٤٣١م، بظهور هرطقة نسطور بطريرك القُسطنطينيَّة، حيث انتقلت هذه الهرطقة إلى قلب الكنيسة السِّريانيَّة الشَّرقيَّة، ووجدت لها هناك مكاناً آمناً بعيداً عن الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة بسطوة أباطرتها.

وبتأصُّل هذه الهرطقة النَّسطوريَّة في الكنيسة السِّريانيَّة الشَّرقيَّة، اعتنقت الكنيسة الآشوريَّة سنة ٤٨٦م النَّسطوريَّة رسميًّا وذلك في مجمع سلوقية، تحت تأثير متروبوليت نصيبين، المدعو برصوم، بعد أن أصبحت ''نصيبين'' أُسقُفيَّة هامة من أُسقُفيَّات كنيسة المشرق. وفي سنة ٤٨٩م طَرَد الإمبراطور زينون النَّساطرة من الرَّها فهاجروا إلى فارس[٥٤]، فانقطعت هذه الكنيسة نهائيًّا عن الكنيسة الأم، وهي كنيسة أنطاكية. وأكَّد النَّساطرة موقفهم بطريقة أوضح في سنودس سنة ٦١٢م عندما اعتمدوا المبادئ المخالفة للكنيسة الجامعة، فقالوا بطبيعتين، وأُقنومين وشخص Prosopon واحد للمسيح، وأقصوا تماماً تعبير والدة الإله Theotokos عن القدِّيسة مريم. وهكذا انزوت هذه الكنيسة مؤثرة العزلة عن أحداث مسيحيَّة مستقبلة، سواء في أنطاكية أو القُسطنطينيَّة أو غيرهما.

وتعترف هذه الكنيسة بقوانين وتعاليم مجمعي نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م، والقُسطنطينيَّة المسكوني سنة ٣٨١م، إلى جانب قوانين مجمع خلقيدونية[٥٥]. وحتى سنة ٢٠٠٥م، كان للكنيسة الآشوريَّة موقع على شبكة المعلومات الدّوليَّة[٥٦]، يحوي من بين موضوعاته عنواناً هو: ''حرومات القدِّيس نسطور ضدَّ كيرلُّس''[٥٧]. وهي اثنا عشر حرماً، يتَّضح منها عقيدتهم المخالفة لإيمان الكنيسة الجامعة فيما يختص بطبيعة السيِّد المسيح وأُلوهيَّته، والاتحاد بين اللاَّهوت والنَّاسوت في شخصه الوحيد، وغيرها من العقائد.

٥٣- تأسَّست كنيسة المشرق الآشوريَّة في آخر العصر الرَّسولي أي في نهاية القرن الأوَّل الميلادي في بلاد ما بين النَّهرَين على الضفة الشَّرقيَّة للفرات، ضمن حدود الإمبراطوريَّة الفارسية القديمة، وخارج حدود الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة، وهُم بقايا الأسباط العشرة التي سبيت في القديم إلى أرض الكلدانيين، وهي أرض آشور (٢ملوك ١٧:٦-٢٣)، حيث كانت إديسَّا Edessa وهي الرَّها (وهي مدينة أورفه اليَوم، شرق حلب) عاصمة هذه الكنيسة السِّريانيَّة الشَّرقيَّة.

٥٤- الأب الدُّكتور جورج شحاته قنواتي، المسيحيَّة والحضارة العربيَّة، بيروت، بدون تاريخ، ص ٣٠

٥٥- مؤسَّسة برو أورينتي، الحوار السِّرياني، المداولة الأولى غير الرَّسميَّة حول الحوار ضمن التَّقليد السِّرياني، فينا، ١٩٩٤م، ص ٦٩

56- http://www.cired.org/east.html

57- New Advent Catholic Website. http://www.knight.org/advent